

**الفرقان**  
**في تفسير القرآن**  
**بالقرآن والسُّنة**



# الفرقان

في تفسير القرآن

بالقرآن والسنة

الجزء الواحد والعشرون

تتمة سورة الفرقان - سورة الشعراء

سورة النمل - سورة القصص

سماحة الشيخ

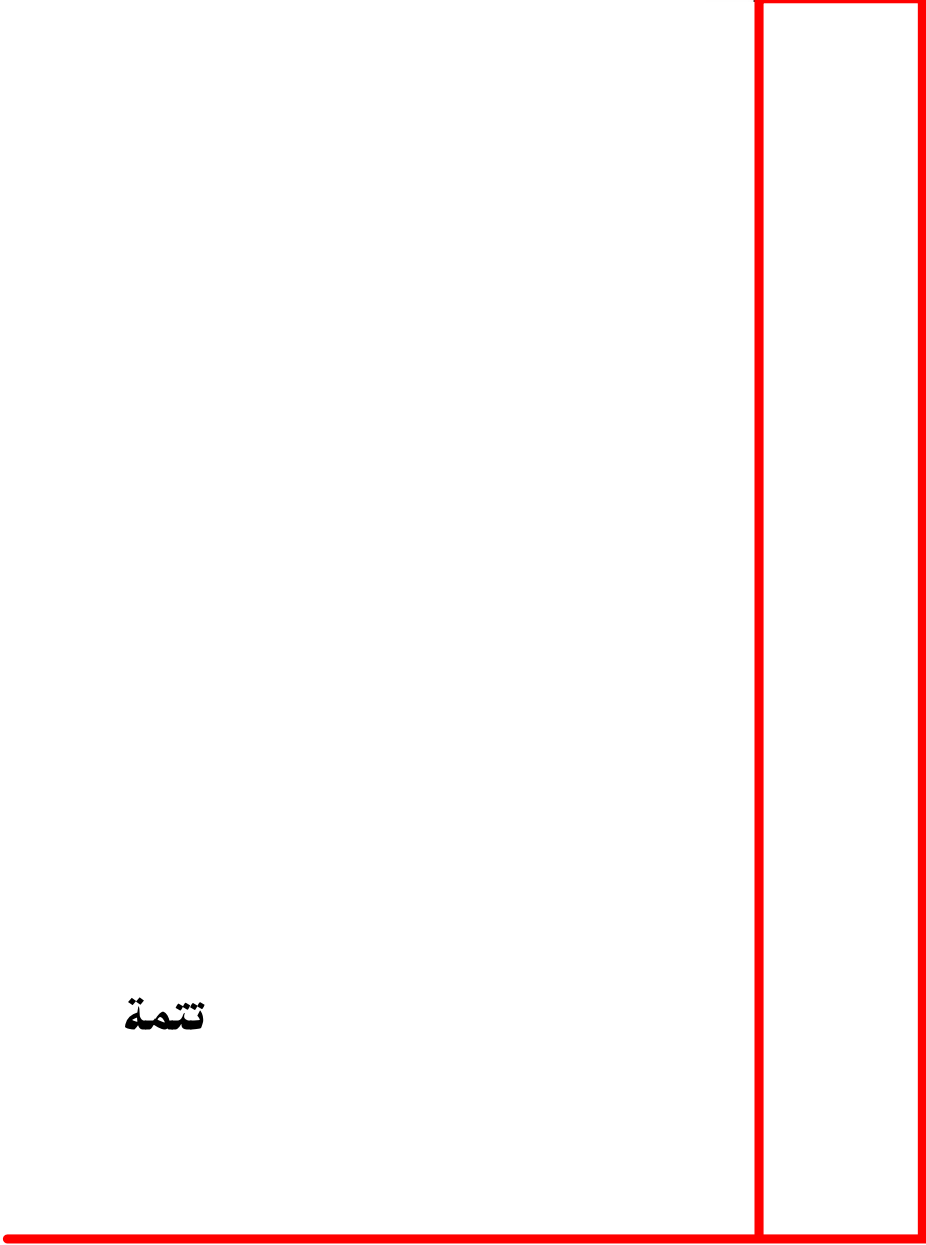
الدكتور محمد الصادقي



٥



تتمه







## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَتِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِلَ الْمَلَتِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا بُولَاقِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا حَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

﴿ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ قد يعم اللقاء في الأولى معرفة له بالوحدانية، فتخصيص العبادة إياه لا سواه، كما الأخرى هي يوم اللقاء المعرفي إذ تزول الحجب إلا حجاب الذات، ولقاء الجزاء ثواباً وعقاباً فإنه يوم الحساب.

﴿ وَقَالَ... ﴾ ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ ﴾ كما يدعي محمد نزولهم عليه

بالوحي، فلو أن البشر ينزل عليه الملائكة فنحن بشر كما هو بل وأهدى سبيلاً، ولو أنه لا تنزل عليه الملائكة فقد جاء محمد بإفك .

أم إذا كان الوحي وحي مواجهة بمشاهدة فلولا نرى ربنا، أم لماذا الوسطاء بشراً أم ملكاً لا يستأصلان مجال الشك في رسالة الوحي، فلولا نرى ربنا، فيوحي إلينا كما أوحى إلى محمد في زعمه .

والجواب كلمة واحدة قارعة ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حيث اعتبروها في قمة الوحي حتى ينزل عليهم الملائكة بالوحي أم في مساماة الربوبية حتى يروا ربهم ﴿وَعَتَوْا﴾ على الحق ووحي الرسالة ورسالة الوحي ﴿عُتُوا كَبِيرًا﴾ فرحم الله امرأ عرف قدره وهم ما عرفوه، لذلك هرفوا وخرفوا في اقتراحاتهم المتلاحقة .

هم في ذلك الاقتراحه الحمقاء قالوا ﴿رَبَّنَا﴾ مسامرة مع الرسول أنه الرب لا سواه، وكما هو ربه كذلك هو ربنا، وكما نحن هو بشر مثلنا، فالمماثلة في البشرية ووحدة الربوبية تقتضي نزول الوحي علينا كما ينزل عليه!

وتقرير آخر ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ﴾ ليخبرونا أنك رسول الله ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيخبرنا أنك رسوله، حيث الوسيط البشرى مشكك لا يعتمد عليه، أو ليست الحكمة الإلهية تقتضي في هداانا أن يسلك بنا سبيل اليقين؟ .

ولكنه مستحيل من ناحية، وهكذا رسالة فتنة حكيمة من أخرى ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ وإن حجة الله بالغة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

ثم إنهم سوف يرون الملائكة ولات حين مناص، وفات يوم خلاص :

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٢٢) :

ذلك هو يوم الموت، بداية الرؤية لملائكة العذاب، فهم يرونهم يومئذٍ بوحي العذاب وواقعه، بديلاً عما تطلبوا من وحي الرسالة أم تصديقها،



فذلك هو نصيبهم من رؤيتهم في ذلك اليوم العصيب ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ رغم ما تطلبوا قبله بشرى الوحي إليهم استكباراً في أنفسهم وعتواً كبيراً.

هنالك هم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للملائكة ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ حجراً عن وحي العذاب وواقعه، والملائكة يقولون - كذلك - لهم ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ عن رحمة الله كما هجروها يوم الدنيا، وحجروا على أنفسهم رحمة الله.

ترى وإذا ﴿حِجْرًا﴾ فقد كفى، فلماذا ﴿مَّحْجُورًا﴾؟ إنه مبالغة في الحجر، إنه ليس فقط يكفي كونه حاجراً، بل ليكن الحاجر كذلك محجوراً، حتى تتمحي آثار المواجهة عن بكرتها.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (٢٣):

كيف ﴿وَقَدِمْنَا﴾؟ وما له تعالى من قدم! وأين ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾؟ وما لهم من صالح الأعمال! وطالحها هباءً قبل الإحباط! القدم منه تعالى ليس كسائر الأقدام، وإنما هي كناية لطيفة عن الإقدام، حيث الإقدام الجادّ هو حسب العادة بالأقدام، ثم القادم ليس إلا عن غياب وليس لله غياب، اللهم إلا غياباً عملياً عن إحباط أعمالهم قبل الموت، فلأنه عاملهم معاملة القادم من غيبة، إذ كان بطول إمهاله لهم كالغائب عنهم، ثم قدم فرآهم على خلاف ما استعملهم وهداهم فأحبط أعمالهم، وعاقبهم عقاب العاند عن الطاعة، العائد في المعصية، المرتكس في الضلالة.

ثم ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ بين صالح وطالح، فجعل صالحه هباءً منثوراً، وأظهر طالحه - خلاف ما ظنوه صالحاً - هباءً منثوراً، في حين ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١).

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٨.

و﴿هَبَاءٌ مَّنْثُورًا﴾ هو الغبار الهابي الرقيق «وشعاع الشمس الذي يخرج من الكوة»<sup>(١)</sup> «وريح الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء»<sup>(٢)</sup>، كناية عن البطلان لما عملوا من عمل، فقد أبطل ذلك العمل، فعفى رسمه وسقط حكمه، وبطل بطلان الغبار المحقق، والغناء المفرق<sup>(٣)</sup>.

### ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>:

آية يتيمة في مقيل أصحاب الجنة، لا ثانية لها، وهو نوم نصف النهار المسمّى بالقيلولة، وفيه راحة مزيجة للإتعاب و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ هنا بازغ منذ الموت حتى ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمِّمِ﴾، فهو يوم البرزخ دون القيامة الكبرى، لا لتكوّر الشمس فيها فلا نهار حتى يكون نصف نهار، إذ فيها شمس أخرى، ولكن لا نوم فيها لا مقيلاً ولا غير مقيل إذ لا تعب فيها يتطلب نومة، ثم الآيات التالية لها تحدث عن قيامتي التدمير والتعمير.

وتراهم ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ من أصحاب النار وخير مستقراً منهم؟ ولا خير في مستقرهم ولا حسن في مقيلهم!

ليس التفضيل فيهما - فقط - بالنسبة لأصحاب النار، بل وبالنسبة للحياة الدنيا، فهما تفضيلان بالنسبة لها حقيقة، وبالنسبة لهم مجازاة، كما «أذلك خير أم جنة الخلد»؟

(١) الدر المنثور ٥ : ٦٦ - أخرج جماعة عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿هَبَاءٌ مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

(٢) المصدر - أخرجه جماعة عن علي بن أبي طالب عليه السلام في الآية.

(٣) المصدر أخرج سمويه في فوائده عن سالم مولى أبي حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: لي جاء يوم القيامة يقوم معهم حسنات مثل جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعل الله تعالى أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار، قال سالم: بأبي وأمي يا رسول الله ﷺ حل لنا هؤلاء القوم، قال: كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل ولكن كانوا إذا عرض عليهم شيء من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله تعالى أعمالهم.

أقول: كأنهم المنافقون، حيث المؤمن لا يثب إلى الحرام مهما يتلى به لهما أم كبيرة يتوب عنها.